

العمل لانجاز «تسويات سلمية» في «اليور الساخنة». ويلاحظ المتتبع لشؤون منطقة الشرق الاوسط كثرة المشاريع للتسوية السلمية للصراع العربي - الاسرائيلي، ولاحقاً لحرب الخليج، من كلا العسكريين وحلفائهما منذ ما بعد حرب العام ١٩٦٧ حتى الآن، والتي جاءت احدث طبعاتها «المؤتمر الدولي للسلام»، وان اختلف الطرفان على شكل المؤتمر، ودوره، في تسوية الصراع سلمياً، والذي يعكس، بدوره، طبيعة «التعاون» الذي يقوم بين العسكريين، من جهة؛ كما يعكس الاهمية الجيو-سياسية لهذا الجزء من العالم، من جهة أخرى.

حركة التحرر العربية؛ الطموح والواقع

شكل تعدد الدول الاستعمارية للمنطقة العربية أساساً لتجزئتها؛ وبالتالي أساساً لنشوء حركات تحرر عربية ترتبت أولوياتها على ما هو قائم؛ فكان الاستقلال عن الاستعمار مطلبها الاول؛ ومن ثم التوحد؛ ليتبعه التقدم (التنمية) لمساواة الامم الحديثة. وهذه المطالب - الشعارات تقتضي أشكالاً مختلفة من الصراع والتصارع. فالمطلب الاول اقتضى وجوب الصراع التناقضي مع الاستعمار؛ بينما افترض المطلب الثاني الحوار بين الاقطار التي صارت دولاً مع الاستقلال؛ والثالث يتطلب بناء الانسان والمجتمع العربي (بمعناه الشمولي) والتعاون، اقتصادياً، مع الدول المتقدمة التي كانت مستعمرة، حيث عنى التقدم محاكاة نمط النموذج الغربي والوصول الى مستواه. لكن انجاز الهدف الاول (الاستقلال) تباين، زمنياً، بين منطقة عربية وأخرى؛ فبعضها استقل في الاربعينات، وبعضها الآخر لم يحصل على استقلاله الا في اواخر الستينات. هذا التفاوت الزمني في انجاز الاستقلال ادى، بالضرورة، الى تقديم الهدف الثالث على الهدف الثاني؛ فقد نشأت دول كان عليها ان تبدأ ببناء نفسها دون انتظار توحيدها. ومع الوقت، احدث تفاوت النمو تبايناً في البنى الاجتماعية العربية، اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً (سنقتصر، هنا، على ما يعنينا من الجانب السياسي في هذا السياق لخدمة الموضوع)، مما جعل تحقيق مطلب الوحدة عصباً على التنفيذ، حتى الحوار حوله كان يجرى، أحياناً، كحوار الطرشان. وبعد فشل تجربة الوحدة السورية - المصرية (١٩٥٨ - ١٩٦١) التي كشفت بفسلها حالة التباين بين المجتمعات العربية، حل محل مطلب الوحدة مطلب «التضامن العربي» في اطار جامعة الدول العربية. وعنى مطلب التضامن العربي على اساس الاجماع، فيما عناه، العمل الجماعي العربي لخدمة الحد الادنى المشترك بين الدول العربية. وظهر، في حينه، ان الجامع المشترك الوحيد الذي يقتضي تضامن الدول العربية، هو القضية الفلسطينية؛ وهو غير ملزم، أو ملزم، حيث لم يكن موضوعاً ساخناً (١٩٦٤)، وتكفي البيانات لخدمته. ودون الخوض في التفاصيل، عنت القضية الفلسطينية، في الذهن الرسمي العربي، الصراع مع اسرائيل، ودعم الشعب الفلسطيني. فعلى مستوى الصراع مع اسرائيل، انقسمت الدول العربية الى «دول مواجهة» و«دول مساندة». وقد ارتبط هذا التوصيف بوضع الاقطار العربية الاقتصادية بعد ظهور الثروة النفطية، حيث طمعت الدول الفقيرة، وهي دول المواجهة، بثروة دول النفط، وهي دول مساندة، تحت ستار الصراع مع اسرائيل، وقبلت الاخيرة هذا الوضع لكف شر التحريض ضدها من دول المواجهة، التي كانت ترى نفسها «تقدمية» (مصر وسوريا)، وترى الدول الاخرى محافظة. كما تراوح مفهوم دعم الشعب الفلسطيني، في اماكن اللجوء، بين مجرد قبول ابوائه (لبنان)، وبين معاملته كموطن دون منحه المواطنة (سوريا)، وبين منحه المواطنة مع الحذر منه والشك في ولائه (الاردن). ومع ظهور الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة تراوح الدعم بين السماح له باستخدام اراضي بعض الدول العربية لشن الكفاح المسلح منها ضد العدو الصهيوني، وبين تقديم العون المادي اليه؛ كما